■ سعيد الجناحي يكتب عن

مزايا وصفات صانعي التاريخ.. ومدى تطابقها أو تنافرها في:

سـيرة ومســار الرئيـس علي عبـدالله صالـح

إن ارتباط الإنسان بالتاريخية لايكون من حيث الأصل والكيان والهوية فحسب بل من حيث ارتباطه بالإنسانية وكلما ارتفع الإنسان في مراتب الإنسانية ارتقت نظرته التاريخية وعزز فعله التاريخي، وكذلك كلما كان وعيه بالماضي أصفى ومجابهته أصدق وأعمق أغنى كيانه الإنساني وأصبح أكثر اقتداراً على صنع العمل التاريخي.

ومن ثم يجمع علماء التاريخ في تعريفهم للعمل التاريخي بالقول إن العمل التاريخي يتكون من جميع الأعمال الإنسانية على اختلاف مداها.. ونوعها وأن أعمال الفرد هي خلاصة سيرته وسيرة الجماعة أو الشعب أو الأمة نتيجة للجهود التي بذلها ويبذلها ابناؤها أفراداً أو مجتمعين.. وسيرة الإنسانية عامة إنها المجرى الذي تجتمع فيه هذه السير الفردية والجماعية والقومية، والواقع أن بعض الأعمال والجهود تكون أكثر فعلاً وأقوى أثراً وأبقى ذكراً من سواها والبعض الآخر يذهب هباء.

تمكن علي عبدالله صالح من انقاذ البلاد من الأزمة الدستورية وتوطيد اوضاع السلطة وجعل من الحوار اسلوباً لبلورة الحقائق

انحيازه لدولة الوحدة وحمايتها من الانهيار فعل تاريخي يخلق اثراً في مجرى التاريـــخ

وقوة الأثر ليست الصفة المثلى أو الغاية المرجوة.. فكم من صانع للتاريخ خلّف عملاً تاريخياً لا ينسى لكن أثره سلبي يخلف دماراً ويؤدي إلى تفكك الحياة وتدميرها بدلاً من بنائها وازدهارها وعلى ضوء ذلك يمكننا تقييم أحداث التاريخ.

لذلك فإن قوة أثر العمل التاريخي أن يكون موجهاً إلى البناء وليس إلى الهدم، إلى النهوض والتطور وليس إلى التبديد والتشتيت.

المعروف أن الإنسان هو صانع التاريخ لقد خلقه الله عز وجل كائناً- في أحسن تقويم- وهبه العقل والقدرة على العمل.. لكن قدرته لايمكن أن تكون مطلقة وحين يشعر الفرد بأنه على كل شيء قدير.. مهما عظمت صفاته وجل عمله، فإنه ينزلق إلى الغرور والشطط فتنقلب محاسنه ضرراً عليه وعلى شعبه وأمته.

لقد أثبت التاريخ سقوط الكثير من القادة بل والأمم بسبب تأليه الذات، وأثبت أن أية جماعة أو أمة مهما علت منزلتها عندما تأخذ في تأليه ذاتها فإنها تنحرف عن جادة الصواب لذا يتعالى ويتجبر قادتها ويتجه أثرها أو تأثيرها نحو الشر والاستكبار والتعالي وتجعل من مصالحها فوق مصالح الآخرين حتى وإن أدى ذلك إلى إنكار حق الآخرين وكما يقال «حقي حقي وحقك حقي» وهنا تنحرف عن جادة الصواب فتفقد عامل رقيها ورشادها ومصداقيتها.. فيكون مصيرها الانحدار وتتلاشى مجدها مهما طال الزمن فكم من امبراطورية انتهت إلى الأبد.

لذا فالإنسان ليس كائناً مفكراً فحسب بل هو كائن عامل حياته حياة تفاعل دائم بين الفكر والعمل، ومن نافلة القول إن رقي الإنسان تقاس بطبيعة المشكلات التي يحس بها أنها تثير قلقه، وتشكل في نفسه ينبوعاً للاحساس والاهتمام بها، كما يقاس رقي الإنسان بقيمة الإنتاج المادي والفكري والروحي الذي يؤدي إليه.

والإنسان الحي الفاعل هو الذي يشعر بما يعترضه من مشكلات تثير في نفسه قلقاً ونزوعاً واهتماماً، وكلما ارتفعت مرتبة هذا الشعور، عظمت مؤهلاته في إدراكه طبيعة المشاكل التي تواجهه وتواجه شعبه، وأمته، وهي مشكلات على أنواع مختلفة.

يؤكد دارسو التاريخ أن الإنسان الحي الفاعل صانع التاريخ ليس «مستقبلياً» مطلقاً سابحاً في الرؤى والأحلام، ولا «حاضرياً» مطلقاً غرقاً كل الغرق فيما حوله من مشكلات، ولا «تاريخياً» مطلقاً يحن إلى الماضي ويرد أن يرجعه كما كان، وإنما يعيش في توتر دائم بين الحاضر، والمستقبل، والماضي، تتفاعل قواها وعناصرها في ذاته، بإدراك متزن وسليم وبشعور دقيق نافذ فيتكون من أثر هذا التفاعل العمل التاريخي المبدع الأمين على الماضي، المتسامي عليه، المتغلب على الحاضر، المخطط للمستقبل، الداخل في صلب الحضارة، المسهم فيها المتشوق إلى من يأتي بعده أو يتخطاه في مجالات الصنع والإبداع.

ومن الطبيعي القول إن صانع التاريخ لايستطيع تحقيق كيانه وبلوغ أهدافه مالم يشعر بقدراته على الاختيار، وإذا لم يكن مستعداً لتنفيذ اختياراته، والذي لايرى السبل المختلفة والمرتسمة أمامه ولايثير هذا الاختلاف قلقاً في نفسه، ولا يحس أن عليه أن يختار بينها، وأن يعزم ويقرر ويشعر انه قادر على هذا ومسؤول في نهاية الأمر عن ذلك- الذي لايتصف بهذه الصفات، أو ليس مؤهلاً لها وينافس في الارتفاع إلى مرتبة العمل التاريخي يظل تأثيرها يجر قدميه في مؤخرة الركب ولايتوصل إلى مقدمة الركب لأن شعور المرء بحريته الذاتية كإنسان يعزز في ذاته الإيمان بأنه- مخير وليس مسير- وهذا هو شرط أساسي من شروط إقدامه.. وإبداعه أو تأثيره في مجرى الحياة وصنعه لحركة التغيير والنهوض والتطور وإتقانه لصنع التاريخ.

قيمة العمل التاريخي

ان من صفات صانع التاريخ إنه لايدير ظهره للمشكلات التي تجابهه أو تجابه شعبه، بل يعمل على معالجتها بعد ترتيبها وفق مراتب ودرجات بحسب أولويتها وأثرها.. حتى لايضيع الجهد في معالجة الطفيف منها وترك المشكلات الحادة والمتفاقمة، فكم تُبذل الجهود في الوجوه الخاطئة فتبدد الآمال.. بل تنقلب يأساً وانتكاساً، لذا فإن قيمة العمل التاريخي المبدع متوقف على قدرة التمييز لما هو مطلوب، وعلى معالجة المشكلات أو الأزمات التي تجابهه وتجابه شعبه في موضوعها الصحيح.

إن حال إحساس صانع التاريخ تجاه الأزمات التي قد تتفاقم لأي سبب من الأسباب تكون في نفاذ الأزمة إلى أعماقه فيتحول إحساسه إقداماً وعملاً وتضحية لمواجهتها، إنه إحساس يختلف عن الإحساس عند الكثير من الآخرين الذين يجيدون التعبير لكن احساسهم لاينفذ إلى أعماق نفوسهم ولايثير فيها القلق الملح ولايتحول إلى عمل مثمر.

وصاحب العمل المبدع صانع التاريخ فإنه يحيا حاضره حياة عميقة.. تخفق نفسه بما يضطرب لما في مجتمعه وجيله من آمال وآلام ومن أفراح ومآسي وما تحقق من مكاسب وانتصار، وما ساد من إخفاق أو نهزام، انه لايهرب أو يتخلى بل يواجه ويتصدى انه يشعر بارتباطه بالأوضاع ويدرك بالتالي مسؤوليته إزاءها وهو بذلك يتطلع إلى المستقبل.

إن العمل التاريخي المنبثق من أحاسيس الحاضر ومن رؤى المستقبل يظل دون شك ذات صلة بالماضي، وصلته هذه صلة إدراك واستلهام يقوم على رغبة صادقة لمعرفة الماضي كما وقع فعلاً ويميل إلى الإدراك السليم، بشغف لمعرفة الحقيقة، متطلع إليها كي لايخدع نفسه أو يخدع سواه، إن طبيعة هذا الإدراك يؤدي إلى معرفة التراث الأصيل والتمسك به، ومعرفة عوامل الضعف والقوة، وبالتالي إذا ما ثار على الماضي فإن ثورته تنطوي على عوامل التأخر والانحلال وحين يحكم على الماضي يكون من إدراكه ما للماضي وما عليه ويميز بين عناصره الإيجابية والسلبية من منظور استخلاص العبر بهدف عدم تكرار العناصر السلبية والاستفادة من عناصره الإيجابية.

نحو المستقبل

إن المبدعين في التاريخ تميزوا بالتطلع إلى الأمام فكانوا رواداً عندما تبنوا مثلاً جديدة آمنوا بها وطمحوا إلى بلوغها، وتمخضت نفوسهم بآمال ضخمة فنهضوا لتحقيقها بجذوهم الكفاح والنضال الدؤوب فالتحموا مع شعوبهم في ميادين الحياة ومعارك الدفاع عن العقيدة والمبادئ والقيم.. الثورية، تحلوا بالشجاعة.. والصبر، والمثابرة والعمل المتواصل. لم يستسلموا للواقع بل اندفعوا لتغييره، لم يكونوا من الحيارى للمترددين في الزمن الصعب، بل واجهوا وتقدموا بعزم وثبات منطلقين نحو المستقبل.. أمثال هؤلاء تتنامى في نفوسهم مشاعر القوة.. تدفعهم إرادة قوية لمنازلة التحديات وصنع التاريخ.

يقول علماء التاريخ الناس في أي مجتمع أو شعب يختلفون من قبيل مجابهتهم للمشكلات التي تجابه واقع حياتهم، وبمدى ما يتصفون به أنهم ينقسمون إلى أربع فئات لكل فئة مزايا وصفات فإلى أية فئة ينتمي علي عبدالله صالح كواحد من الناس.. ذلك لأن الانتماء هو في كل الأحوال منبع وعي الإنسان لذا لابد من تعريف هذه الفئات باختصار شديد..

الفئة الأولى: إنها فئة لاتشعر باقرب المشكلات إليها.. أي من حيث ضمان العيش واستمراره إنها لاتجد لها اسهاماً أو أثراً في عملية التغيير والفعل التاريخي.. فهي تطفو على مجرى التاريخ يجرها معه هنا وهناك دون أن يكون لها قدرة في توجيه أو تعديل مساره.

الفئة الثانية: تشعر بما يحيط وما يعاني منه مجتمعها وما يعترض طريق تطوره من صعاب.. وما يحيط بها من مخاطر، لكنها لايكون لديها اقتناع راسخ في التصدي لتلك الصعاب والمخاطر لتجند قدرتها على التحكم بمجرى الحياة.. فهي في هذه الحالة تظل مستسلمة إلى القوى الداخلية أو الخارجية إنها ترى عدم جدوى أي نوع من العمل مهما كانت غايته، وترى أن أثر الفرد والجماعة فيه ضئيل أو محدود، وأن للعوامل المحيطة أو أن لدوافع المؤسسات الأثر كل الأثر، ولذا تنساق إلى القناعة بالرضا والاطمئنان والاكتفاء بمراقبة القوة أو القوى المتحكمة التي تحيطها والاستسلام لها ومن هنا يكون عجز هذه الفئة عن الاسهام الفاعل في عملية التغيير.. والتطور.

والفئة الثالثة: هي فئة تؤمن بالاختيار وتسعى وتعمل لتتحكم بمجرى التاريخ لكنها تنقسم إلى أنواع منها يكون هدفها إعادة مجرى التاريخ إلى الوراء ومنها من ارتضى بما ينعم من الرفاهية والإمكانات ومن نفوذ أو مصالح.. وهي عند ذلك تخشى أي تبديل أو تغيير إذ ترى بذلك خطراً على مصالحها وخسراناً لنفوذها.

ومن هذه الفئة أولئك الذين يسعون عن عقيدة وإيمان إلى إعادة التاريخ إلى القهقري، فقد سطت على قناعاتهم أفكار خاطئة صورت لهم إمكانية إعادة عصر ذهبي ماض، واعتبروا أن كل ماجاء بعده إنما هو تدهور وانحطاط وأن شر الحياة الحاضرة والفساد المنتشر إنما يعود إلى التحول أو ترك مبادئ وقيم العصر الذهبي الماضي، والابتعاد عنه.

ويركز هؤلاء على الدوافع الخلقية والعقلية والروحية التي أدت إلى الانتصارات.. والإبداع الحضاري وفي أغلب الأحيان يطمح هؤلاء إلى استعادة حياة تلك العهود ويجهلون أو يتجاهلون أن العمل التاريخي الذي تحقق مرتبط بالظروف والتقاليد والأساليب، إنما ارتبطت بدرجة التطور العقلي التي بلغتها المجتمعات في تلك الأونة وإنها خاضعة لسنن التبدل والتحول، وإنه لايمكن استعادتها كما كانت، وإن كل جهد من هذا القبيل إنما هو جهد عقيم.

والفئة الرابعة: يصفها المؤرخون إنها فئة آمنت إيماناً راسخاً عن قناعة التغيير والتطور فهي مؤمنة بالاختيار حاسمة في اتجاهها، منطلقة إلى الأمام ضائقة ذرعاً بما يعاني منه مجتمعها أو شعبها من تخلف، وما يحيط به من عوائق تعيق استنهاضه، لذا تعمل على التغيير.

توصف هذه الفئة بالمستقبلية.. إنها طليعة حركة التغيير الثورية التي شهدها التاريخ.. طليعة الثورات السياسية والاجتماعية والفكرية، وداب هذه الفئة وهي أقل عدداً من سواها تقويض الأوضاع والنظم القديمة، منطلقة من إيمانها أن الحياة تعاقب، بين الثبات والاستقرار، وكل استقرار لابد من أن يحمل في طياته بذور التحول والتطور.. ومن ثمة فإن عمل هذه الفئة يوصف بالعمل التاريخي أو بإبداع تاريخي عند البعض.

قبل تناول مدى تطابق هذه الصفات صفات صناعة التاريخ على الرئيس علي عبدالله صالح وتطابق ميزاتها التي أوردناها في بداية هذه الدراسة عليه، لابد من معرفة انتمائه الاجتماعي إلى أية الفئات التي ذكرنا آنفاً ينتمي.

الرئيس

انتمى علي عبدالله صالح إلى الفئة الرابعة من فئات المجتمع اليمني الفئة الثواقة إلى الاختيار والتصدي للمصاعب والإقدام على التغيير لقد بدأ طموحه حين التحق بالقوات المسلحة قبل الثورة.. وكان أول اختيار له الالتحاق بالثورة وخوضه مع قواها معارك الدفاع عنها وعن النظام الجمهوري بكل شجاعة وإقدام جرح أكثر من مرة في معارك البطولة والشرف وبفضل تضحيات قوى الثورة البواسل انتصرت الثورة وبقي نظامها الجمهوري ثم تدرج في الرتب العسكرية.. وكان موقفه الخياري التزود بالكفاءة والتأهيل القيادي حين التحق بالمركز الحربي وتخرج مع دفعة من الضباط في قيادة الدبابات ثم تبوأ عدداً من المراكز القيادية في القوات المسلحة كان آخرها قائداً للواء (المجد) وقائد منطقة تعز برتبة مقدم.

حين دخلت البلاد فجأة في أزمة بفعل اغتيال رئيس الدولة.. المقدم الغشمي في الرابع والعشرين من يونيو ١٩٧٨م لقد كادت تلك الأزمة أن تعصف بالنظام وتدخل البلاد في متاهات لم يكن أحد يعلم بمصيرها.

يقال إن أيام الأزمات هي أيام العزم والتصميم لأنها تساعد على الأعمال التي توجه الحياة توجيهاً جديداً فيكون منها صنع التاريخ فيما لو يتم تجاوزها، وتكون الأزمة عندما يشعر الفرد أو المجتمع بها وحين يصل فعلها إلى الأعماق، فكم من شدائد تصيب الأفراد والجماعات وكم من أزمات تحيق بشعوب فاستسلمت لها، وما ذلك إلاّ لأن حيويتها كانت مشلولة، ومنابع نشاطها وحيويتها كانت قد نضبت.

والأزمة التي سادت البلاد «شمال الوطن» حينها كانت قد أدخلت النخب السياسية في حيرة من أمرهم لكنها شكلت عند المقدم علي عبدالله صالح حينها حافزاً منبهاً الاحساس بمدى المخاطر المحدقة بالوضع فأهله ذلك الاحساس ليميز بين التردد والإقدام، وبين الاستكانة.. والاختيار وما اكتسب من معارف وما اختزن من خبرة وما آمن بقيم جديدة واتخذ قراره في الانتقال من تعز إلى صنعاء في نفس اليوم، دون أي توجيهات من أحد.. ولايعلم تفاصيل ماحدث.. مخاطراً بحياته مما مكنه من المشاركة في اجتماع قيادة البلاد لمعالجة الوضع الناتج عن اغتيال رئيس الدولة ثم أقدم على الاختيار لتحمل المسؤولية التي عزف عن تحملها آخرون أكبر منه رتبة وأرفع موقعاً وأكثر تجربة منه.

ربما كان الرئيس علي عبدالله صالح يدرك خطر الاختيار والمسؤولية المترتبة عليه، غير أن مما لاشك أن عوامل كثيرة كانت قد تداخلت في نفسه وخاصة عوامل القلق والتوتر بين ما كان قائماً وما كان يخفيه المستقبل، وبين القدرة المحدودة والمسؤولية الجسيمة، ولكن بقراره نمت في ذاته قابلية التحدي والتصميم ومضى في طريق لم يكن يعلم انه طريق العمل التاريخي.

قدرة وحنكة

من يستعرض التاريخ القريب سيجد أن الرئيس علي عبدالله صالح تولى المسؤولية كرئيس في يوليو ١٩٧٨م في ظل سلطة منحسرة في المدن الكبيرة وفي ظل أوضاع غير مستقرة، يعصف بها ركام من الخلافات.. والاتجاهات المتعادية والصراعات السياسية والحزبية تنامت منذ الشهور الأولى لقيام الثورة السبتمبرية (١٩٦٢م) وتداخلت.. وتنوعت حتى بداية عهده عام ١٩٧٨م.. لقد سبق عهده أربعة رؤساء حكموا البلاد وتشكلت (٢٦) حكومة وهو أكبر دليل على عدم الاستقرار القائم حينها ووصول البلاد إلى درجة الانهيار خاصة حين دخلت في فراغ دستوري خلفه اغتيال الرئيس الغشمي.. والحالة العدائية التي ولدها غياب الحوار ولجوء السلطة إلى إجراءات قمعية ضد قوى المعارضة وخاصة في عهد الرئيس الغشمي.. مما اضطر عدد من الفصائل الحزبية المعارضة للنزوح إلى جنوب الوطن اليمني حيث وجدت الدعم والمساندة مما مكنها من تشكيل الجبهة الوطنية الديمقراطية كتحالف حزبي شكل جناحاً عسكرياً تابعاً له وتبنت هذه الجبهة نهج الكفاح المسلح لمواجهة عنف السلطة وإسقاطها.

وفي ظل تلك الأجواء حاول فصيل من قوى المعارضة اسقاط السلطة عن طريق انقلاب عسكري.. وفي أكتوبر ١٩٧٨م وبعد أربعة أشهر من قيام تلك المحاولة الانقلابية اندلعت الحرب بين شطري اليمن.. وكادت قوات الجنوب.. وقوات الجبهة الوطنية الديمقراطية أن تسيطر على محافظات بكاملها، لولا تدخل الجامعة العربية والضغط على قيادة الشطرين.. على إيقاف إطلاق النار وإنهاء الصراع بالحوار والمفاوضات.. ودعت الجامعة العربية إلى لقاء قمة عقد في الكويت وتم التوقيع على اتفاق تنفيذي لتحقيق وحدة شطري اليمن.

وهكذا اثبت الرئيس علي عبدالله صالح بقدرته وحنكته خيبة توقعات المراقبين الذين توقعوا أن بقاءه في السلطة رئيساً لن يتجاوز عدة أشهر.

لقد مرت سنة على توليه المسؤولية وقيادة البلاد لتكون هذه الفترة بداية الانطلاقة لصناعة التاريخ وبما أن الأحداث التي مرت في عهده أكانت أثناء النظام الشطري أو أثناء العقد والنصف من عمر دولة الوحدة- الجمهورية اليمنية- قد أصبحت تاريخاً وشهدت اليمن أحداثاً ومنعطفات ومتغيرات ومن خلال تقييمها من الممكن تناول قدرته القيادية في معالجتها وتخطي أصعابها.

ومن المهم الإشارة إلى بداية تحمله المسؤولية عام ١٩٧٨م فقد تمكن من إنقاذ البلاد من الأزمة الدستورية وتوطيد أوضاع السلطة.. متخذاً سبلاً جديدة في إدارة السلطة.. تمثلت في اختياره لمعاونيه في شتى المجالات.. من الذين شاركوه التصدي للأزمة ومن ذوي الخبرات والمؤهلات والمعارف وشكل حوله جماعة استمر اتساع أعدادها باستمرار، لقد أدرك أن المسؤولية لاتقتصر على الفرد فمن الصعب ان يمتلك الفرد القدرة المرجوة من الأثر المنشود دون جماعة من الناس لديها الأهلية والاستعداد والقدرة، تعمل معه وتسانده تشكل معه فريق عمل جماعي.. وبما امتلك من ذكاء وقدرة أصبح على رأس جماعة من المخلصين لتوجهه بل أصبح رائداً وقائداً لها وتميز بقدر على الحوار والمحاورة لقد جعل من الحوار أسلوباً لبلورة حقائق الأمور بما يمكنه من معرفة المشاكل والقضايا واستنباط معالجتها حتى يكون قراره صائباً وبتلك الحنكة اتسع عدد من يشاركه إيمانه ورؤاه، من

وصفات صانعي التاريخ.. ومدى تطابقها أو تنافرها في:

سيرة ومسار الرئيس علي عبدالله صالح

يحس بمشكلات الحاضر مثلما يحس بها هو ويراها وكذلك التوافق في الرؤى وهكذا شكل الالتفاف حوله فاصبح تياراً مؤثراً.

لذا تمكن من تخطي أخطر الأزمات التي واجهها خلال العام الأول من توليه السلطة.

ترتيب اوضاع السلطة

لقد أتاحت قدرة الرئيس علي عبدالله صالح على كبح الأزمة السياسية وتخطي المخاطر مما أدى إلى استتباب الأمن والاستقرار لينتقل إلى ترتيب أوضاع السلطة.

فقد أقدم على تشكيل مجلس استشاري ليكون له عوناً في اتخاذ القرار واتخذ قراراً بتوسيع المشاركة الشعبية فعمل على تعديل الدستور بما يسمح بتوسيع أعضائه وصلاحياته، وبلور رؤية نظرية للعمل السياسي بمشاركة القوى السياسية ذات الاتجاهات المختلفة.. وفق الحد الأدنى من الوفاق الوطني.

كما جعل الرئيس علي عبدالله صالح من الحوار.. وسيلة لبلوغ مآربه، فشكل لجنة للحوار من (٥٠) عضواً تم اختيارهم كممثلين لكل الأطياف السياسية بما في ذلك قوى المعارضة إلى جانب ذلك شكل لجنة فرعية لمحاورة الجبهة الوطنية رغم استمرار القتال بين قوات السلطة والجبهة وكان نتيجة الحوار اتفاق يناير ١٩٨٠م وبالنسبة لحوار القوى السياسية فقد تم الاتفاق حول ميثاق وطني كقاعدة فكرية ورؤية سياسية.. للمؤتمر الشعبي العام والذي تشكل في أغسطس ١٩٨٢م ليملأ الفراغ السياسي وقد تشكل من ألف عضو ٧٠٪ منهم منتخبون تم انتخابهم في إطار الانتخابات التعاونية والبقية تم تعيينهم وتطورت المشاركة الشعبية إلى انتخاب مجالس محلية وانتخابات أعضاء مجلس الشعب.

أدى الاستقرار الذي ساد البلاد إلى الانهماك في استكمال المشاريع التي تهم البنية التحتية والتخطيط للنهوض بالمجال الاقتصادي والتعليمي والصحي والزراعي.. وبناء المؤسسات.

وظل الحوار بين الشطرين هو الأساس للعلاقات.. ومساعي لإعادة وحدة الوطن.. وإنهاء بؤر التوتر.

ومن المهم معرفة موقفه حين تفاقم الوضع في جنوب الوطن.. بفعل الصراع المسلح داخل الحزب الاشتراكي في الجنوب في (١٣) يناير ١٩٨٦م وكانت النتيجة لجوء الآلاف من أعضاء الحزب والمواطنين وأعضاء الحكومة إلى الشمال.

كان المتوقع أن يشكل الرئيس علي عبدالله صالح من القوى التي نزحت إلى الشمال.. سيما وأن على رأسها الرئيس علي ناصر محمد رئيس الحزب والدولة، وعدد من قادة الحزب والدولة وهي قوى لايستهان بها ورقة سياسية سيما، كان بمقدورها أن وتعمل على اسقاط السلطة التي نشأت على إثر الأحداث في الجنوب لكن الرؤية المستقبلية للرئيس علي عبدالله صالح، واحساسه بأحداث الحاضر حينها بأنها عابرة مهما كبرت ولأن صلته كانت صلة إدراك واستلهام لمستقبل اليمن لم ينجز أو ينساق لأوهام اسقاط نظام الجنوب ولم ينساق مع ردود الفعل بل اتخذ موقفاً صحيحاً.. أدى إلى عدم التخلي عن القوى التي تواجدت في الشمال، ولم يسمح لها بأي عمل يقود إلى إثارة أعمال مسلحة بهدف اسقاط السلطة في الجنوب، وعمل على استعادة المساعي الوحدوية لقد أدرك بحنكة أن إعادة تحقيق الوحدة اليمنية هي السبيل لإنهاء الصراعات.. وردود أفعالها لقد استفاد من أن العنف المسلح الذي تقوده الجبهة القومية فشل في اسقاط السلطة في الشمال.

لقد جاء تعاطيه مع الأوضاع الداخلية بحكمة ولم ينسق مع التأثير الخارجي الذي يغذي صراع العنف بين الشطرين فتلاشت إمكانية العداء.. ليحل التفاهم والحوار ومساعي تحقيق الوحدة سبيلاً.. ليمن جديد.

ودون شك أن هذا الموقف أعاد مساعي تحقيق الوحدة إلى طبيعتها.. وكان عاملاً مهماً من عوامل تحقيق الوحدة على أسس سليمة وديمقراطية والتي أعلنت في مايو ١٩٩٠م.

وطن واحد

لقد جاء التحول إلى دولة واحدة على وطن واحد وعلى قاعدة الاتفاقيات الثانوية بين قيادة الشطرين ومشروع دستور دولة الوحدة والمرور بمرحلة انتقالية أصبحت أساس دولة الوحدة وخاصة بعد تحول مشروع دستور الوحدة إلى دستور نافذ بحكم الاستفتاء الشعبي عليه وهو ما أنهى الاتفاقيات الثانوية وهو الذي لم تدركه بعض قيادات الحزب الاشتراكي.. وسبب حالة من الصراع في ظل دولة الوحدة الجمهورية العربية قاد إلى حرب ١٩٩٤م مما حدا بقيادة الحزب الاشتراكي إلى العودة إلى النظام الشطري، والذي أصطدم بكل عوامل الوحدة.. ومسوغاتها وكان الفشل الطبيعي.

توصف قيادة الرئيس علي عبدالله صالح في انحيازه لدولة الوحدة وحمايتها من الانهيار والتصدي للمحاولة الانفصالية وإفشالها بالعمل التاريخي وتعريف العمل التاريخي كما سبق أن ذكرنا بأنه ذلك العمل الذي يخلق أثراً في مجرى التاريخ.. بينما يوصف عمل نائبه حينها علي سالم البيض في مجرى المحاولة الانفصالية من موقعه كنائب رئيس لدولة الوحدة بأنه ذو أثر سلبي يؤدي إلى تفكيك الحياة وتدميرها، ومن ثم يبرز الفارق التاريخي بين من يتقن صناعة التاريخ ومن يتقن صناعة المآسي.. والدمار أن مثل هذا الحدث يدلل على الفعل التاريخي المبدع والفعل التاريخي المخرب. لم يكن بالإمكان سوى الإشارة إلى بعض الأحداث التي شهدتها اليمن وهي كثيرة في ماضيها القريب للتدليل على تطابق صفة ومزايا صناعة التاريخ على مسار الرئيس علي عبدالله صالح.. وهي صفات حددها علماء التاريخ ودارسوه، ويرى هؤلاء أن الصفة الأخيرة لصناعة التاريخ الذين أحسنوا إدراكهم للماضي حتى استطاع أن يحكم على هذا الفريق من بني الإنسان وبالنسبة للمستقبل.

فإن على صانع التاريخ أن يشعر انه خاضع لحكم التاريخ وان احساسه بمشكلات الحاضر وضرورة حلها.. على ضوء المستقبل بروح الأمانة واستمرار شعوره بالقدرة على أن خير الأمور اتمامها لأن التاريخ حاكم قوي المراس لايهين ولايلين، وانه يعدل ولايرحم وان الأجيال القادمة واقفة بالمرصاد.

كما وأن صانع التاريخ الحقيقي يهمه كأي إنسان أن تسجل له الأجيال القادمة روائع العمل ومفاخر العز والإبداع، ولكنه لايرمي إلى هذا، بل عليه أن يرضي ضميره وأن يحسن القيام بمهمته والنهوض بشعبه وأن عمله سيؤدي إلى خير الأجيال القادمة ويسهم في تحقيق القيم الإنسانية.